مُقَدِّمَة

الطب النبوي

الطب النبوي مجموع ما ثبت وروده عن النبي ﷺ مما له علاقة بالطب ، سواء كان آية قرآنية . أو حديثاً نبوياً شريفاً ، ويتضمن وصفات داوى بها النبيﷺ أو أنه أوصى بالتداوي بها . كما يتضمن توصيات تتعلق بصحة الإنسان في أحوال حياته من مأكل ومشرب ومسكن ومنكح . كما يشمل تشريعات تتعلق بأمور التداوي وأدب الطب في ممارسة المهنة وضمان المتطبب من منظار الشريعة الغراء .

وقد أفرد جميع علماء الحديث في كتبهم التي جمعوها من كلام النبوة أبواباً خاصة تحت عنوان «باب الطب» وكان البادئ منهم في ذلك الإمام مالك في موطئه ، تبعه في ذلك «الإمام البخاري» ثم «الإمام مسلم» وأصحاب السنن وغيرهم من علماء الحديث .

وأول مؤلف مستقل عرف لدى المؤرخين في هذا الموضوع ، رسالة مقتضبة عن الطب النبوي أرسلها الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم (المتوفى ٢٠٣هـ) إلى الخليفة العباسي «المأمون» بناء على طلبه .

وقد طبعت بتحقيق للدكتور محمد علي البار ونشرت تحت اسم «الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي ـ الرسالة الذهبية .

ثم ظهر كتاب «الطب النبوي» لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (المتوفى عام ٢٣٨هـ) ، وكان فقيهاً ومحدثاً ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٩٣ مذيلاً بتحقيق علمي للدكتور محمد علي البار . ويعتبر رغم حجمه الصغير وثيقة هامة توضح مدى اطلاع الفقهاء على العلوم الطبية وربطهم تلك العلوم بالأحاديث النبوية والقضايا الفقهية .

ثم ظهر كتاب «الطب النبوي» لأبي بكر بن محمد الدِّينَوَري المعروف بابن السني (المتوفى عام ٣٦٤هـ) ، وكان محدثاً حافظاً جمع في كتابه ما وصل إليه من أحاديث نبوية تتعلق بعلم الطب ، لكن دون أي شرح طبي ، ومثله كان كتاب الطب النبوي الذي جمعه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني (المتوفى عام ٤٣٠هـ) وكان إماماً ثقة في الحفظ والرواية ، وقد

جمع في كتابه أكبر عدد من الآثار المتعلقة بالطب المسندة إلى النبي ﷺ أو الموقوفة على أحد الصحابة الكرام وقد كتب أسانيدها ولم يقل إنها صحيحة أم لا ، وكان كتابه مرجعاً لكل من ألف بعده في هذا المضمار .

ويعتبر الموفق عبد اللطيف البغدادي (المتوفى ٦٢٩هـ) . والذي ولد وعاش في بغداد ، أول طبيب قام بشرح طبي لأحاديث الطب النبوي ، فقد كان طبيباً فوق كونه فقهياً ونحوياً وفيلسوفاً ، ألف في كل هذه العلوم ومن مؤلفاته : الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه والمعروف بالطب النبوي ، وكتاب الطب من الكتاب والسنة ، والذي يتضمن مقدمة في علم الطب وأسباب الأمراض وفصولاً في حفظ الصحة على هدي النبي ﷺ في الطعام والشراب والنوم والجماع ، وفي الحجامة ، والأدوية وفصولاً في المعالجة ، وفائدة الرقى ، وفي الحمية وعيادة المريض ، وأخرى في التشريح وخلق الإنسان .

ثم قام العلامة أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى عام ٦٥١) ، وهو من تلاميذ البغدادي ، باختصار مصنَّف أبي نعيم الأصفهاني في كتاب سمّاه «الشفاء في الطب المسند عن المصطفى» وهو مطبوع حديثاً .

ثم ظهر صاحب كتابنا هذا «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية» وهو الطبيب علي بن عبد الكريم بن طَرْخان الحَمَوي والملقب بعلاء الدين الكحال (المتوفى عام ٧٢٠هـ) وكان طبيباً حاذقاً وأديباً وله عدة مؤلفات منها : القانون في أمراض العيون ، ومنها هذا الكتاب الذي نحققه ، وهو مؤلف هام جداً يدل على اطلاعه الواسع في الطب ، جمع فيه الحديث من مصادر متعددة ، لكن فيه العديد من الأحاديث الضعيفة ، وحتى الموضوعة ، لكنه ينسبها لمن نقلها عنه ويترك للقارئ مهمة البحث عن صحتها . ولا بد من القول أن كتابه هذا يعتبر المرجع الأول والأهم لكل من كتب بعده بمن فيهم العلامة ابن قيم الجوزية . وقد استفاد الكحال من كتاب البغدادي ونقل عنه دون أن يشير إليه في الغالب . والكتاب طبعه البابي الحلبي في مصر في الستينات ، لكنه لم يحظ بالعناية اللائقة به . وهذا ما دعانا إلى اقتراح إعادة طبعه بعد إجراء التحقيق المطلوب حديثياً وطبياً وتم تنفيذ الاقتراح من قبل الأستاذ رضوان دعبول صاحب مؤسسة الرسالة الذي عمل جاهداً على متابعة العمل في الكتاب حتى جاء على الصورة الجميلة التي نراها عليه .

وللإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبي (المتوفى عام ٧٤٨) كتاب معروف أيضاً باسم «الطب النبوي» ونقل مواده الطبية عن البغدادي ، كما نقل عن الخطابي وابن البيطار وابن طرخان ،لكنه أول من كتب عن الأعراض النفسانية من غضب وفرح وغم وخجل وتأثيرها على البدن والعلاج النبوي فيها ،لكن من المآخذ عليه ذكره لأحاديث ضعيفة وموضوعة ليس لها أصل ، وذكره لمفردات ليس فيها أي نص نبوي .

أما الإمام محمد بن أبي بكر شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى عام ٧٥١هـ) فكان من علماء دمشق ومن أكابرهم ، برع في الفقه والحديث والتفسير وعلم الأصول وكتابه «الطب النبوي» نال شهرة كبيرة رغم أن كثيراً من فصوله نقلها عن [الكحال بن طرخان] مؤلف كتابنا هذا دون أن يشير إليه على الإطلاق ، وإنك لترى جملاً وفصولاً بطولها متماثلة ، كما نقل عن البغدادي ،لكنه أغفل فصولاً منهما لعدم وجود نص نبوي فيها ، كما توسع في الأبحاث الفقهية إذ نجد عنده فصولاً في موضوع جناية الطبيب وآداب المهنة وصفات الطبيب الحاذق ، كما توسع في الطب الروحاني وأثره في شفاء المرضى .

ثم إن للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ) تصنيف قيم في الطب النبوي أسماه «المنهج السوي والمنهل الرويّ في الطب النبوي» والسيوطي عاش في القاهرة ومصادره الحديثية فاقت كل المصادر الأخرى ، نقل عن كل من سبقه ممن ذكرنا غيرهم وأغنى مصادره الطبية بنقله عن طبيب معاصر له هو العلامة ابن النفيس . وقد أُخذ على كتابه تساهله في التحقيق في درجة الحديث واستشهاده بالضعيف والموضوع ، والكتاب مطبوع حديثاً وهو مذيَّل بتحقيق حديثي طبي للدكتور حسن الأهدل .

وقد عثرنا على مخطوطة للكتاب وهي نسخة المكتبة الأحمدية الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية تحت رقم /١٤٥٨٩/ وهي كاملة عدد أوراقها /١٤٩/ ورقة في كل ورقة لوحتان تتألف اللوحة من /١٩/ سطراً وقد كتبت بخط واضح .

فقمنا بمقابلة المخطوط على المطبوع وأثبتنا الفروق بينهما في الحاشية لدقة العمل .

ونحن لم نسرد كل المصنفات التي ألفت في الطب النبوي وإنما ذكرنا أكثرها شهرة مما طبع وهناك كتب مخطوطة لم تطبع . ونحن نجد في جميع كتب الطب النبوي المتداولة ، بما

فيها كتاب ابن قيم الجوزية ، إلى جانب الأحاديث الصحيحة ، أحاديث ضعيفة وأخرى غير مقبولة إطلاقاً عند علماء الحديث . وكان مؤلفو هذه الكتب لدى استشهادهم بالأحاديث الضعيفة ، يرون التساهل بالأخذ بالأحاديث الضعيفة الواردة في الطب ، كما هي الحال عند أخذهم بها في فضائل الأعمال ، مالم تكن ـ بالطبع ـ شديدة الضعف . ونحن في هذا المقام نرى عدم جواز الأخذ بالأحاديث الضعيفة في موضوع الطب لأن حفظ الصحة من الأمور الواجبة ، وإن إلهاء المريض بدواء لم تثبت نسبة التداوي به أو وصفه إلى الرسول الكريم ﷺ قد يُلحق الضرر به ، وفي هذا تقصير في واجب حفظ النفس التي حفظها الشرع .

وملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام حول كتب الطب النبوي التي ذكرناها ، فكل هؤلاء المؤلفين يمزجون عند شرحهم للأحاديث النبوية بين المقولة النبوية وبين الفهم الخاطئ لكثير من مواضيع الطب والتي فهموها من خلال فهم الأطباء في عصرهم ، ولا يخفى أن علم الطب اليوم قد قطع أشواطاً كبيرة متقدمة في فهم الأمراض وعلاجها ، لذا وجب علينا أن نعود إلى النبع الأصلي المتوهج ، إلى النص النبوي الملهم ، فما صح من حديث عن نبي الرحمة ﷺ في الطب فإننا نجده ما يزال ينبض بالحياة والعطاء العظيم ، وقد أثبت الطب الحديث السبق النبوي في معالجة العديد من الأمراض والإعجاز الطبي العلمي في كثير من أمور الطب الوقائي وفي حفظ الصحة .

من هنا ـ نرى ضرورة شرح أحاديث الطب النبوي ، بمفهوم العصر الذي نعيشه ، والقيام بالأبحاث الطبية السريرية ، لاستخراج المنافع التي تفيد مريضنا على منهج علمي صحيح . وبهذا المنطق قمنا بالعمل على كتابة تعليقات في نهاية كل حديث ، وحتى تتم الاستفادة العملية من الوصفات النبوية الواردة فيه قام إخوتنا في مكتب تحقيق مؤسسة الرسالة ـ حفظهم الله ـ بتحقيق أسانيد تلك الأحاديث وتبيان الصحيح من الضعيف منها على الشكل الأمثل وأخص بالذكر منهم الأستاذ مهند خذها ، والله من وراء القصد .

الدكتور

محمد نزار الدقر